معالم بارزة
في حياة الملك فهد

عبدالعزيز بن عبدالله السالم
أمين عام مجلس الوزراء

شخصيات الزعماء تختلف باختلاف أصولهم وعمق جذورهم، كما يسري ذلك الاختلاف على منبتهم ونشأتهم؛ فأصالة المنبت وأهمية المنشأ من العوامل المهمة في تكوين شخصية الإنسان، فكيف إذا كان هذا الإنسان مهيّأً للزعامة بحسب مكانته الاجتماعية وتكوينه الذاتي ؟ وفي ظل هذه الحقيقة تتأكد الزعامة، وتسمو عاليًا على جميع المستويات داخليًا وخارجيًا، كما أنها تتألّق كذلك على الصعيد العالمي، فيصبح اسم الزعيم مشاعًا في أرجاء الدنيا، وفق المعطيات التي يقدمها، والجهود التي يبذلها، والإصلاحات التي عمل على تحقيقها لبلاده، والروح التي يتعامل من خلالها مع شعبه، والسياسة التي ينتهجها مع أمته بصفة خاصةٍ، والعالم أجمع بصفةٍ عامة.

وقد جمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تلك الصفات، وكان بها وبمثلها مهيّأً لامتلاك مقومات الزعامة بمواصفاتها الحقيقية ومتطلباتها الذاتية، على نهج والده الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - أسد الجزيرة، وموحد شتاتها، وصانع وحدتها، المؤسس لهذه الدولة السعودية في مراحلها التأسيسية والحالية، على قواعد الشريعة ودستورية الإسلام، وفقًا لما نهجته الدولة السعودية منذ بدء تأسيسها وتعاقب عهودها؛ وذلك قبل (٢٦٥) عامًا حتى هذا العهد الزاهر. وكان من مآثر العاهل الكبير

الملك عبدالعزيز - وهي كثيرة - أن عمل على توحيد أقاليم هذه البلاد، وجَمَعَ مناطقها في إطار واحد تحت اسم واحد، وإذا كانت بلدان كثيرة قد خصصت يومها الوطني ومَعْلَمها القومي، بحدث يرتبط بمناسبةٍ عابرة، أو يتنوّع بتعدد تاريخ تسلم الحاكم لمقاليد السلطة؛ فإن الملك عبدالعزيز بعبقريته المتفرّدة، وبنظرته البعيدة، وتساميه فَوق كل مطلب شخصي، جعل من تاريخ توحيد المملكة العربية السعودية (اليوم الوطني) الذي نحتفل بذكراه كل عام. وعلى النهج نفسه كان تتابع كل عهود أبنائه الملوك من بعده احتفاءً بهذا التوحيد، فكان يومًا مشهودًا من أيام بلادنا العزيزة التي تعتز بوحدتها في ظل قيادتها، مشمولةً بالأمن الشامل، والعز الوارف والاتحاد التام الذي جسد الوحدة في أروع مظاهرها، وأعمق معانيها، وأسمى أهدافها؛ فجمعت البلدان المتباعدة والجماعات المتفرقة، وصهرتها في شعب واحد، كما وحدتها تحت رايةٍ واحدةٍ تحمل الشعار العظيم: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وامتدّت مسيرة هذه الدولة في نطاق مملكة واحدة، مترامية الأبعاد، واسعة الأرجاء، متعددة المناخات والأجواء، جمعتها كلمة واحدة، وأظلتها راية واحدة، وارتبطت بقيادةٍ واحدة.

وقد تكرّست هذه الوحدة الوطنية وبَدت أهميتها في جعلها مَعْلَمًا بارزًا من تاريخ المملكة المعاصر؛ بتحويل هذا الرمز الوحدوي المرموق إلى يوم وطنيٍّ مشهود، يتجدّد الحديث عنه في كل حول، ويعتزّ به كل مواطن، وتتطلع إليه كل أمة. والغاية من الاحتفاء الحولي بهذا اليوم التاريخي في حياة شعبنا العمل على تأكيد الحس الوطني المتأصل في وجدان المواطن، والمتنامي في جذوره، إلى جانب استشعار نعمة الوحدة الجغرافية والسكانية التي نعيشها، ونتفيأ ظلالها، ونسعد بدوامها المستمر إن شاء الله تبارك وتعالى. ومن خلال هذا الاستشعار الوطني ينغرس مفهوم اتحاد الكيان في حسّ كل مواطن،

على الصورة الملموسة في واقعنا الحالي الذي نرجو امتداده على مرّ القرون، وحيث ينشأ كلّ جيل من أجيالنا الواعدة عاشقًا للوحدة الوطنية مقدرًا لها، متفتّحا عليها، يرى فيها أحلامه الموعودة وآماله المرجوّة؛ فيحافظ عليها بما يحفظه لها من حب، وما يحتفظ لها من إخلاص، والفضل كلّ الفضل لله تبارك وتعالى ثم للعاهل الكبير الملك عبدالعزيز الذي أقام أسوار الوحدة الوطنية وأعلى بناءها، وصانها من بعده أبناؤه السائرون على دربه المحافظون على نهجه. ولا شك أن هذا منهجٌ وطني يسجل في مفاخر الملك عبدالعزيز، فذلك منه - رحمه الله - ملمحٌ رائع، ووعيٌ سابقٌ لزمانه؛ التفت إليه بشعوره الصادق وإحساسه المتفتح، فكان هذا اليوم الوطني الذي تلتقي في مناسبته قلوب المواطنين كل عام، وإن كانوا يمارسونه طيلة حياتهم.

وإذا كانت تلك إشارةً ولمحة عن اهتمام الملك عبدالعزيز بوحدة الأمة، وجعل يوم توحيدها رمزًا للاعتزاز الوطني؛ فقد عمل على تعزيز هذا المفهوم أبناؤه الملوك من بعده، وكلٌّ منهم يتصف بنصيب من ملامح عبقريته. وإذا كان المجال هنا مجالَ مناسبةٍ للاحتفاءً بمرور عشرين عامًا على حكم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، فإن حكمه امتدادٌ لحكم والده العظيم ولأسلافه من إخوانه الملوك؛ فمن المعلوم أنه أولُ وزير للمعارف في هذه البلاد، إذ تولاها عام ١٣٧٣هـ، أي قبل نحو نصفً قرن من هذا التاريخ أو يكاد، وكانت انطلاقته بالتعليم انطلاقةً جادةً متوثّبة. كان فيها يسابق الزمان، ويطوّع الظروف؛ لأنه كان يدرك أنّ التعليم هو الركيزةُ الأساسية لبناء كيان الأمة ورفع مستواها، لذلك عمل على إشادة صرح العلم والمعرفة، فوضع القواعد الأساسية لبناء النهضة التعليمية، وعمل على توفير مقوماتها فيما نشهده من تطور ملموس؛ في انتشار المدارس على نطاق واسع من المملكة، على رحابة امتدادها، واتساع رقعتها، وتنوّعً طبيعةً أرضها؛ ما بين سواحل

منخفضة، وجبال مرتفعة، وصحار واسعة؛ فهي بلادٌ واسعة تشبه قارة، مع اختلافً عوامل الطبيعةً الجغرافية، وتناثر السكان بين الوهاد والمرتفعات والوديان والجبال. وقد استطاع الملك فهد أن يجتاز كل تلك العقبات لإيصال العلم إلى جميع السكان في مختلف البلدان والقرى والهجر، وكانت تلك نقلةً كبيرة في مجال التعليم الذي امتد ليشمل الحاضرة والبادية؛ فلا يشعر أي مواطن أنه لم تتحقق له الدراسة، لأنه في قرية منزوية، أو هجرةٍ بعيدة، أو في صحراء تكاد تكون مقطوعة الصلة بالمدن الآهلة بالسكان. وبهذا الامتداد الكثيف بدأت مسيرة التعليم خطواتها الفسيحة رأسيًا وأفقيًا. ولم تقف جهود الملك فهد عند حدٍّ معين، سواء حينما كان وزيرًا مسؤولاً عن التعليم، أو بعد أن أصبح ملكًا يؤمن بأهمية الرسالة العلمية؛ فقد عمل على توسيع النطاق التعليمي، على مختلف مراحله، وتنوع برامجه واتساع قاعدته. وكما اهتم بالتعليم في بناء قاعدته الأساسية اهتم بالتعليم فيما فوق ذلك؛ حيث وجّه اهتمامه للتعليم العالي بعد أن أرسى دعائم المراحل الأولية، فكانت الجامعات التي ضمَّت آلاف الطلاب، وكثرت التخصصات المطلوبة لمواكبة النهضة، التي تشهدها البلاد في العديد من الميادين على مستوياتٍ كثيرة تشمل جميع المناطق، وتستجيب لمطالب المجتمع، وتسد احتياجاته. وفي إطار الاحتفاء بمرور عشرين عامًا على تولي الملك فهد مقاليد الحكم، كان ذلك أيضًا مناسبةً سعيدة للاحتفاء بمرور خمسين عامًا على توليه وزارة المعارف.

> **استطاع الملك فهد أن يجتاز كل تلك العقبات لإيصال العلم إلى جميع السكان في مختلف البلدان والقرى والهجر**

ولا تقف منجزاته - حفظه الله - عند حقل التعليم، واهتماماته المتوالية بنشره، والارتقاء بمناهجه لمواجهة المستقبل الذي يتطلبه العصر، ويتسلح به الشعب، وإنما أضاف إلى ذلك منجزاتٍ إسلامية

عالميةً، كانت إضافةً رائعةً وعملاً رائدًا، أكبرته الأمة الإسلامية، واستحق به - إن شاء الله - الأجر الجزيل من الله تبارك وتعالى، ثم الثناء الوافر، لا من أبناء شعبه فحسب، وإنما من أفراد المسلمين قاطبة، وتتمثل تلك المنجزات الشامخة في تبنّي توسعة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة بصورةٍ لم يُعرف لها مثيل فيما سبق، تجلت في قيام المباني العملاقة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وما نالته هاتان المدينتان المقدستان من توسّع عمراني، وتطوّر ماديٍّ ومعنوي؛ فقد أقيمت في المدينتين المقدستينً شبكاتٌ للطرقً المعبدة، إلى جانب الجسور والأنفاق، بحسب حاجة كل مدينةٍ جرت على أسس هندسية محكمة، وكان الملك بنفسه يشرف عليها، ويتابع خطواتها حتى تم إنجازها في زمن قياسي، وهذه مأثرةٌ من مآثر طموحاته في ممارسة الإصلاح، وكان هذا دأبه في جميع أنحاء المملكة؛ فقد حرص على الاستفادة من الثروة المادية في عهده الزاهر؛ بتوظيفها في الإعمار والتطوير بمختلف الوسائل على أفضل المستويات. ولم تقف النهضة عند حدود معيّنة؛ ولكنها امتدت واتسعت لتشمل جوانب عديدة: ثقافيةً، واجتماعيةً، واقتصاديةً، وإعلامية. وبهذا الدعم المتواصل والإشراف المتصل تحققت في بلادنا العزيزة ما يشبه الطفرة في جميع المناحي، وفي كل المسارات الحيوية، وأعطت صورةً مُشرقةً ومشرّفةً لبلادنا بين بلدانٍ كثيرةٍ سبقتنا في المدنيّة، وتقدمتنا في الحضارة.

ومن المنجزات التي تُحسب للملك فهد، وتحققت في عهده، التفاتاته الواعية إلى تحديث الأنظمة في المملكة، ولا سيما المهم منها مما كان له أثرٌ ملموسٌ في واقع البلاد، وطبيعة حياتها، ومواكبة مسارها المعاصر. ولقد كانت فكرة تحديث الأنظمة - بما يتماشى مع تطورات العصر ومواجهة أحداثه - هاجسًا ملحًا في ذهنه، ومن خلال هذا الإلحاح صارت أملاً يشغل باله، وبهذا الشاغل الفكري،

تحولت إلى عملية واعية تعهدها بنفسه؛ فقد ظل من قَبْل يردّد في بعض أحاديثه الخاصة وفي بعض المناسبات ما يشهده من أن العصر الذي نعيشه يتقدم، وتستجدّ فيه أحداث وتطورات، وأن من الأنظمة ما تجاوزه الزمن؛ ولذا فقد آن الأوان لتحديثها وتجديد صياغتها بما يواكب المعطيات الحديثة والتطورات الجديدة التي يشهدها عالمنا المعاصر، ولذا فإنها بحاجة إلى إعادة نظر جادة، ودراسة واقعية في ظل المستجدات الحالية، سواء على مستوى النطاق الداخلي أو المستوى الخارجي؛ لكي تتفق مع رسالة العصر وتحولاته، وتلتقي مع اهتمامات المواطن في تطلعاته، وتلبي احتياجاته، وتساير مقتضى حياته. وفي ضوء هذا التصور كانت تدور خواطر الملك فهد، ومن واقع رؤيته البعيدة، تحدّد اتجاه البوصلة التي رصد من خلالها دراسة الأنظمة، وفي طليعتها الأنظمة الأساسية المهمة في كيان الدولة، والمتمثلة في الأنظمة الأربعة الآتية: النظام الأساسي للحكم، ونظام مجلس الوزراء، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق.

وقد كان دستورَ الدولة السعودية - وما يزال - منذ تكوينها في عهدها الأول الكتابُ المنزل والسُّنة المطهرة، وعلى هذا الأساس الإسلامي قامت قواعد الحكم، وترسخت قدسية الدين في النفوس؛ يتوارثها الناس جيلا بعد جيل. ولا أدل على الاهتمام بمنهج الإسلام والالتزام بشريعته من أن (النظام الأساسي للحكم) الذي هو بمثابة دستور الدولة، قد أبرز في مواده الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية وتطبيقها في جميع الأحكام، ومثالٌ على ذلك ما نصّت عليه المادة السابعة من هذا النظام : (يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة). وقد تأكدت هذه المادة بالمادة التالية لها، وهي المادة الثامنة، ونصها: (يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق

الشريعة الإسلامية)، وليس هناك ما هو أكثر وضوحًا من تمسك الدولة بالحكم الإسلامي شريعةً ومنهجًا وتطبيقًا كما تضمنه هذا النظام.

وإذا كان نظام الحكم يقوم على أساس العدل والمساواة وفق الشريعة، فقد جاء نظام مجلس الوزراء يحقق مفهوم العدالة والمساواة فيما تضمنته مواده التي من بينها المادة السادسة التي تنص على أنه: (لا يجوز لعضو مجلس الوزراء أثناء تولّيه العضوية أن يشتري أو يستأجر مباشرةً أو بالواسطة أو بالمزاد أيًا كان من أملاك الدولة، كما لا يجوز له بيع أو إيجار أي شيء من أملاكه إلى الحكومة، وليس له مزاولة أيّ عمل تجاري أو مالي، أو قبول العضوية لمجلس إدارة أيّ شركة)، كما تضمن هذا النظام النص في مادته التاسعة على تحديد مدته بما لا تزيد عن أربع سنوات، خلافًا لما كان عليه الوضع في السابق، وقد شمل هذا التحديد في المدة كلَّ مَنْ يشغل مرتبة وزير أو المرتبة الممتازة.

لقد اهتم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - منذ بدايات حكمه بالشورى، فيما يتصل بمحيطه الخاص أو فيما له علاقة بشؤون الدولة عامة، فقد أحاط نفسه بمستشارين من الشخصيات الكبيرة الذين لهم وعي بالسياسة وإدراكٌ لمجريات الأمور، فكان لقاؤه الدائم بهم في اجتماعات خاصة لطرح ما يواجهه من مشكلات دولية، أو ما يستجد من أحداث، وانطلاقًا من توجيه الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾(٢) ، وتأسيًا بالمصطفى ﷺ في طلب المشورة من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فقد عمل الملك عبدالعزيز بقناعة ذاتية منه على تأسيس مجلس الشورى في مستهل عام ١٣٤٦هـ أيٍ قبل

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٨ .

إعلان توحيد البلاد عام ١٣٥١هـ، مع أهمية هذا الحدث الكبير الذي سجله تاريخ المملكة في أنصع صفحاته على أنه حدثٌ تاريخيٌّ يشكّل رمزها الوطني الذي تقرر الاحتفاء به حوليًا، ومع أهمية هذا الحدث فقد سبقه إلى ذهن الملك عبدالعزيز تكوين مجلس الشورى، لما له من مكانةٍ في حياة الشعوب.

وفي عهد الملك فهد اتسعت قاعدة هذا المجلس، وتطور نظامه حتى شمل في دورته الحالية (١٢٠) عضوًا، وكما كان عدد الأعضاء يزداد في كل دورةٍ من دوراته، فقد جرى تحديد مدته بأربع سنوات، كما جرى هذا التحديد على مجلس الوزراء.

وجاء نظام المناطق ليواكب مستوى العمل الإداري المتطور في بلادنا، ويتناسب مع اتساع مساحة الأعمال ومواجهة المستجدات : (وكفالة حقوق المواطنين وحرياتهم في إطار الشريعة الإسلامية)، كما هو نص المادة الأولى من نظام المناطق الذي راعى تحقيق المصلحة العامة بتلبية احتياجات المواطنين حيث يقيمون، وذلك بمراعاة استيعاب التوسع السكاني الذي أصبحت عليه المملكة في عهدها الحالي، وبموجب هذا النظام تحددت المناطق الرئيسة في إطارها العام وفق التقسيمات الإدارية التي تضمنتها المادة الثالثة على النسق الآتي: (تتكوّن كل منطقة إداريًا من عدد من المحافظات فئة (أ) والمحافظات فئة (ب)، ومراكز فئة (أ) ومراكز فئة (ب). ويراعى في ذلك الاعتبارات السكانية والجغرافية والأمنية وظروف البيئة وطرق المواصلات).

وإذا كان من الاهتمامات التي أولاها الملك فهد جُلّ عنايته اهتمامه بالنهضة التعليمية بكل أبعادها، على أساس أنها مفتاح التطور الحضاري بكل معطياته الإيجابية، والمنطلق التقدمي في جميع المجالات، فإن هذا الاهتمام قد امتد ليشمل مناحيَ كثيرةً

ومتنوعةً في نواحي الحياة: العلميةِ، والثقافية، والاقتصادية، والصحية، والعمرانيّة، والصناعية، والزراعية، إضافةً إلى جوانب أخرى لها أهمية في تطور المجتمع وتقدم الوطن.

ومن واقع هذه التطورات التي خطتها هذه البلاد في مضمار التقدم إلى جانب الدور الذي تؤدّيه على الساحة الخارجية: عربيًا وإسلاميًا ودوليًا، استطاعت أن تبني لنفسها مكانةً متميزةً في عالمنا المعاصر، على مستوى يليق بها أصالةً وتاريخًا بصفتها قبلة المسلمين، ومهد العروبة، وحاضنة المدينتين العزيزتين على جميع المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة، اللتين تضمّان أقدس بقاع الأرض، وفيهما الحرمان الشريفان ومهوى أفئدة المسلمين، ولعل مما يتوّج مبادرات الملك فهد أن أضفى على نفسه لقب "خادم الحرمين الشريفين"، وكان حقًا مؤهلاً لهذا اللقب بما قدمه من خدماتٍ منظورةٍ للحرمين الشريفين بصفة خاصة، وللبلاد بصورة عامة.

وإذا بقي لي مجال في التحدث عن جانب آخر من جوانب حياته، فذلك عن خبرة طويلة؛ فقد كان لي شرف العمل بمعيته - حفظه الله - في مستهل حياتي الوظيفية، وقد أمضيت مدةً طويلة تشمل تقريبًا كلَّ حياتي الوظيفية في الدولة، فقد تشرفت بالعمل بمعيته حينما كان وزيرًا للمعارف، كما أني قد عملت بالقرب منه عندما صار وزيرًا للداخلية، ثم سعدت بالعمل تحت توجيهه الكريم وهو ملكٌ ورئيسٌ لمجلس الوزراء، ورافقته في العديد من رحلاته الرسمية والخاصة خارج البلاد، وازدادت الرابطة مع امتداد العمل، فكنت أشعر بمدى ثقته الذاتيّة التي أعتز بها، وألمس مبلغ تقديره لإخلاصي في العمل، وهو واجبٌ عليّ، ولكنني كنت ألقى منه - أعزه الله - المحبة والتكريم، وذلك ما دفعني للتفاني في أداء الواجب، وخالص الولاء للمليك المفدّى، أمدّ الله في عمره، ولدولتنا العزيزة، حرسها الله.

والتعامل مع هذا الزعيم الكبير ليس صعبًا لما يتمتع به من رؤية صائبة، وحصافةٍ في الرأي، وإدراكٍ عميق لكل الأمور، وهو يزن أعمالَ كلِّ عاملٍ بميزان عادل، فيقدِّر العاملينَ معه بحسب إخلاصهم في تأدية واجباتهم، وتفانيهم في أعمالهم، وصدقهم أمام مسؤولياتهم، وهو مع جلال قدره وعلوّ مكانته أنيسُ المعشر، لطيفُ النكتة، حاضرُ البديهة، يأسر سامعه والجالسَ معه بالكلمة الطيبة المعبرة عن شعوره، وهو يضع الكلمة المناسبة في الموضع المناسب، كما أنه إلى جانب جلال هيبته متواضع جدًا، وهذا التواضع سجيةٌ من سجايا أفراد الأسرة المالكة؛ فهم أكثر تواضعًا من بعض أتباعهم. وفي هذا الإطار فإن هيبة الملك لديه لا تحول دون مراجعته، وإيضاح ما يستوجب الإيضاح، وهو لا يجازي على الخطأ الأول، وإذا تكرر الخطأ مرة أخرى نبّه المخطئَ على خطئه، فإذا لم يستفد من الدرس فإن خطأه الثالث ينهي علاقته بالمنصب الذي يشغله، وهي صفاتٌ قلّما تتوافر في زعيم في حجمه؛ فهو يعتزّ بأنه إنسانٌ مؤمنٌ قبل كل شيء، وله بوادر إنسانية كريمة لا تصدر إلا عن مثله ممن يتمتع بإيمانٍ عميق، وحِسٍّ إنسانيٍّ رفيع.

التعامل مع هذا الزعيم الكبير ليس صعباً لما يتمتع به من رؤية صائبة، وحصافةٍ في الرأي، وإدراكٍ عميقٍ لكل الأمور

وهو دائمًا باسم الوجه، مشرق الروح، يستمع إلى النكتة اللطيفة، ويصغي إلى الدعابة الظريفة، ويشارك في الأحاديث التي تدور في حضوره، وله اهتمامات تدل على تمتعه بالذوق الرفيع، تتجلّى في أوضاع عديدة ومناسبات متعددة، فهو يتمتع بالحس الجمالي فيما يراه حوله وما يشهده أمامه، وما يعرض عليه مما له علاقةٌ بالذوق الجميل؛ فمن ميزاته أن لديه خصائص لا توجد إلا في آحادٍ قليلةٍ من الناس؛ فلديه نظرةٌ فاحصةٌ للألوان والأشكال، وكيفية التوفيق بين الأضواء والظلال في العمل الهندسي أو الديكور، في القصور أو

المساكن أو الدواوين والمكاتب، والدليل على ذلك تناسب الأوضاع في الأماكن التي يعيش فيها أو يستقبل فيها الوفود والزوار؛ حيث يبهر الوافد أو الزائر بتناسق الألوان وروعة التصاميم للمباني، ووضع كل شيء في موضعه المناسب له، فلا تنافر بين الألوان ولا تباين في الأشكال. ومما أعرفه عنه أنه هو الذي يشرف بنفسه على رسوم البنايات وتنسيق المفروشات، ولا يترك لمهندس معماري أو مهندس ديكور أن يفرض عليه ذوقه، وحين يبدي ملحوظاتٍ يدهش لها المهندس المصمم، وذلك عائد إلى إحساسه الشخصي، ولذلك نلمس مظاهر الجمال في كل مكان يسكنه أو يمارس فيه مهامه ومسؤولياته.

وكما أن له رؤيته السديدة في الأوضاع الخاصة، فقد كانت له رؤيته البعيدة في المشكلات العالمية، ومواقفُ مشهودةٌ في الأحداث العامة، كان له دورٌ بارزٌ ومكانةٌ مرموقة؛ فقد استطاع أن يضع لنفسه منزلةً عاليةً بين الزعماء المعاصرين والحكام الكبار الذين لهم وزن في الرأي العام؛ فعندما حدثت حرب الخليج الثانية المتمثلة في اجتياح الكويت وتشريد أشقائنا، وقف أبو فيصل وقفة شامخة أعادت الوطن المغتصب إلى أهله الكرام، وحجّمت دور المعتدي، كما وقف في وجه التحديات التي حملتها رياحٌ عاصفة، وقد أثبت في مواجهتها حنكةً سياسيةً وأصالة رأي، مما جعله مؤهلاً لكل حدث مهما عظم، وندًا لكل حاكم مهما كبر، وهو بهذا المستوى المرموق يعدّ من الملوك الذين أضافوا لأمجاد أمتهم مواقف مشرفة في أحرج الظروف وأحلك الحوادث، وبذلك استطاع أن يحوّل مسار الأحداث لصالح شعبه وإسعاد وطنه، واستلهام وقائع التاريخ ماضيًا وحاضرًا في رسم الحلول وبلوغ النتائج. وقد عايشته الأمة في الرخاء والشدة، وخلال الأوقات الهانئة والأجواء الصافية، وفي مفاجآت الأحداث الخطيرة، وتأجج الأزمات العنيفة، وثورة الخطوب المدلهمة؛ فكان في

جميع الحالات ثابتًا ثبوت الرواسي، لا تهزه الرياح العاصفة في الأجواء العالمية، ولا تعكر صفاء ذهنه الانفعالات بالتحولات الحادة؛ فهو يدرك عظم مسؤوليته أمام ربه، فيتجه إليه - سبحانه - في الملمات، يستلهم منه الرشد والتوفيق، ولا ينسى الاستشارة من أصحاب الرأي وذوي الخبرة، يفرض ذلك عليه مبلغُ اهتمامه بأمته، وهو أدام الله توفيقه يعالج كلَّ حدَثٍ بما يستحقه من مواجهة، ويزن كل موقف بما يناسب حجمه من الأهمية، فكانت معالجاته للأحداث كأنما هي فتحٌ من الله عليه؛ لأنه يتصرف بحكمةٍ واتزان وتبصر، ونظرٍ في عواقب الأمور برؤيةٍ بعيدةِ النظر، واسعةً المساحة، وبهذه المواقفً ومن خلالها جنّب بلادهٍ عواقب الأزمات الخانقة، وحماها من كوارث الخطوب الحالكة، وصانها من تداعيات الظروف الطارئة.

وهو - متّعه الله بالصحة - إلى جانب ما سبق له مواقف إنسانيّةٌ رائعة، تتجلى فيها شفافيته الواعية، وعاطفته النبيلة وكرمه الذي ليس له حدود، كما أنه إذا تكلم في أي موضوع وفّاه حقه من الشرح والإيضاح، ولا يستنكف أن يُطرح عليه السؤال المحرج، أو الذي يُظنُّ أنه كذلك، فيجيب عنه الجواب السديد بكل صراحة وبكثير من اللطف. وبمواقفه المشرفة وسجاياه الكريمة تعمّقتْ محبته في قلوب أفراد شعبه، وتجسد إعزازه في نفوسهم، ومن دلائل هذا الحب والإعزاز أنه عندما دخل - رعاه الله - مستشفى الملك فيصل التخصصي حينما ألمت به وعكةٌ صحيةٌ طارئة، سرعان ما انعكس أثر ذلك على أفراد الشعب، فكانوا مشدودين إلى النشرات الصحية التي تصدر عن المستشفى، ودعواتهم مرفوعةٌ إلى الله - تبارك وتعالى - بأن يمنّ عليه بالشفاء العاجل، حتى لقد قال لي أحد الصالحين من المواطنين ما نصه: (أتمنى لو أنّ الأعمار يوهب منها لوهبت من عمري للملك فهد ما يزيد في عمره المديد إن شاء الله)، وكان صادقًا في قوله لا يرجو من وراء ذلك جزاءً ولا شكورا، وإنما

هو شعور أملاه عليه الوفاء لملك يستحق أن تفديه النفوس، بما قدمه من خدمات لم تقتصر على أمته وحدها، وإنّما شملت العالم الإسلامي، وقد فَسَّرَ هذا المواطن كلامه بأن عمره إذا طال لن ينتفع به أحد سواه. وبعد شفائه - لله الحمد - واستئنافه ممارسة مسؤولياته نقلتُ إليه ما قاله أحد أفراد شعبه - وهو نموذجٌ لكل مواطن - مما سلف أن أشرت إليه من قول، فكان جوابه - أمد الله في عمره - أن شكر هذا الإنسان على مشاعره الطيبة تجاهه، ثم قال: (أسأل الله أنْ يطيل عمري وعمره)، فكانت لفتةً إنسانيةً من لفتاته المعهودة، والمجال يمتد لو تابعتُ الكثير من مبادراته الكريمة، ومواقفه الإنسانية المشهودة.

ورجلٌ كبيرٌ له هذا الحب بهذا الوزن، ويحتل هذه المكانة الكبيرة، من حق الوطن أن يحتفل بمرور عشرين عامًا على تولّيه مقاليد الحكم، وأن يحتفي بهذه المناسبة السعيدة، وهو يتفيأ ظل القيادة الرشيدة.